الفصل الاول

اقطار البحر المتوسط الاوربية

تدين اوربا بقيام حضارتها للمنطقة التي يطلق عليها اسم جنوب غرب آسيا · والرأى السائد هو ان الفضل في هذا يرجع الى الشرق الادنى حيث بدأت زراعة الحبوب وتدجين الحيوانات ذات المنفعة الاقتصادية وحيث بدأت الخطوات الاولى في بناء القرى والبيوت وفي صناعة الفخار وحيث بدأ التعدين لاول مرة وبدأت التجارب الاولى في ميدان الري · وصل طلائع المهاجرين القرويين الى قارة اوربا من جنوب غرب آسيا عن طريق الاناضول ثم سلكوا في هجرتهم طريقين سار الاول باتجاه الجزر الايجية حيث تدفقوا على جزيرة قبرص والجزر المنتشرة في بحر ايجة وشبه جزيرة اليونان وشبه جزيرة ايطاليا وشبه جزيرة ايبريا وجنوب فرنسا كما استقرت جماعات أخرى منهم في جزر البحر المتوسط الاخرى عندما تقدمت وسائل النقل البحرية · وقد تعززت هذه الهجرات بعد ذلك بوقت قصير بهجرات أخرى جاءت من البلاد الواقعة على الطرف الشرقي من البحر المتوسط اما الطريق الثاني فقد اتجه نحو البلقان ثم الى وسط اوربا عن طريق نهر الدانوب وروافده ثم استقر احفاد المهاجرين الذين سلكوا هذا الطريق في غرب اوربا وشمالها ثم وفدت عليهم بعد ذلك جماعات اخرى من الشرق ·

ووجد المهاجرون انفسهم في بيئات تختلف عن موطنهم الاصلي وتختلف عن بعضها اختلافا بينا ولذلك اختلفت اوجه الحضارة من مكان لآخر · وفي بداية الهجرة كانت الغابات الصنوبرية تطغى على منطقة البحر المتوسط وبالتدرج بدأت هذه الغابات تتلاشى بسبب قلة الامطار فحلت محل الاشجار الكبيرة اشجار صغيرة وحشائش · وقد ساعدت الظروف المناخية المشابهة للظروف المناخية في جنوب غرب آسيا الى حد ما على زراعة القمح والشعير

Scanned by CamScanner

والشوفان فلم تكن هناك حاجة للبحث عن حبوب زراعية أخرى غير أن العقبة الرئيسية امام هؤلاء المهاجرين كانت وعورة الارض واتساع المناطق الجبلية وقلة الاراضي المستوية فاستعاضوا عن كل ذلك باتباع طريقة المدرجات في بعض المناطق واعتمدوا في زراعتها على الامطار ·

١ ـ كريت والجزر الايجية :

كريت هي احدى الجزر الكثيرة المنتشرة في بحر ايجة الممتد بين آسيا الصغرى وشبه جزيرة اليونان وقد كانت في غابر تاريخها مركزا من مراكز الحضارة المهمة التي لعبت دورا مهما في تاويخ اوربا والشرق الادنى القديم واستطاعت جزيرة كريت بفضل اسطولها التجاري والحربي ان تسيطر في الالف الثاني قبل الميلاد على معظم جزر بحر ايجة وعلى جزء من بلاد اليونان هذا اضافة الى علاقاتها التجارية مع آسيا الصغرى ومصر واقاليم شرق البحر المتوسط · والذي ساعد على قيام اقدم حضارة ايجية في جزيرة كريت هو الموقع الجغرافي الذي يصلح للتجارة والحرب فالجزيرة تقع في منتصف الطريق بين فينيقية وايطاليا وبين مصر واليونان كما ان ارضها خصبة وتنتج حقولها غلات زراعية مختلفة وتكسو جبالها وتلالها غابات كانت فيما مضى مصدرا مهما للاخشاب وقد نقل فراعنة مصر كثيرا من تلك الاخشاب في سفن الكفتيو وهم الملاحون الكريتيون · وتنتشر في سواحل كريت وخصوصا السواحل الشرقية والجنوبية منها موانيء طبيعية سهلت التجارة بين الجزيرة والعالم الخارجي وبفضل هذه العوامل استطاع الملك مينوس ان يؤسس دولة قوية في جزيرة كريت وفي الجزر المجاورة لها وقد عرفت حضارتها في العصر البرونزي بالحضارة المينونية نسبة الى الملك .

ان قصة الملك مينوس التي تناولتها الاساطير الاغريقية ظلت خرافة حتى أثبت علماء الاثار حقيقتها ففي ١٩٧٨ حصل أحد التجار الكريتيين على بعض القطع الاثرية المستخرجة من سفح احد التلال القائمة في جنوب مدينة كانديا **Kandia** وفي عام ١٨٨٦ زار هنري شليمان Henry Schleiman

Scanned by CamScanner

هذا المكان بعد ان فرغ من تنقيباته الاثرية في مدينة ما يسيناى وطروادة وفحص اللقي الاثرية المبعثرة على سطح المكان فاعلن عن وجود مدينة كنوسوس عاصمة مينوس في باطن التل واخذ شليمان يفاوض صاحب الارض لشرائها بغية الحفر فيها ولكن صاحب الارض طلب مبلغا ضخما جدا فصرف شليمان النظر عن البحث عن كنوسوس فاضاع بذلك فرصة نادرة لو استغلت لاضاف هو سجل حضارة جديدة الى حضارات العالم القديم . وفي عام ١٨٩٣ اشترى الدكتور ارثر ايفانز Arther Evans قطعا حجرية بيضاء اللون من امرأة اثينية وادهشه ما كان محفورا عليها من نقوش مكتوبة لم يكن في وسع احد ان يعرف اسرارها فاخذ يقتفي مصدرها حتى عرف انها من كريت فسافر ايفانز اليها واخذ يطوف في ارجائها ويجمع المزيد منها وفي عام ١٨٩٥ اشترى قطعة من الارض التي كان شليمان يعتقد انها تضم اثار مدينة كنوسوس عاصمة مينوس وبدأ بالتنقيب والبحث مدة تزيد على الشهرين فوجد اثار قصر مينوس وعثر في خرائب هذا القصر وفي غيره على الوف الاختام ورقم الطين المكتوبة بنقوش او رموز تشبه تلك التي جاء ايفانز من اجلها الى كريت(٢) . ويظهر ان النيران التي سببت دمار قصر كنوسوس قد حفظت هذه الالواح اذ اصبحت صلبة وقد بذلت محاولات عديدة لحل رموز تلك الكتابة الصورية والهجائية ولكن لا يزال الكثير منها غامضا يخفي معظم قصة بحر ايجة القديم .

وبعد ان ذاع نبأ الاكتشاف الاثري العظيم في كنوسوس توافد العلماء على كريت واجروا حفريات في مواقع أخرى(٣) منها هاكياتریاذا وفستوس وفاسيليكاي وموخلوس وكورنيا وزاكروس وباليكاسترو وتيلسيوس وغيرها واسفرت هذه الحفريات في جملتها عن ظهور مجموعة ضخمة من الاثار تشمل الصور والرسوم الجدارية والتماثيل والالات الحجرية والاواني الفخارية والتمائم والاختام والآلات والادوات المعدنية

Scanned by CamScanner

والرقم الطينية وبرزت امام الباحثين مشـــكلة تاريخ هذه الاثار وبذل الدكتور ايفانز جهودا مشكورة في هذا الصدد فارخ الاثار المكتشفة حسب عمق الطبقات التي وجدت فيها وحسب ما طرأ على أنواع الفخاريات من تطور وتغيير وحسب ما بين هذه الاثار والاثار التي اكتشفت في الاقطار المجاورة من شبه في الشكل والغرض وبفضل هذه الطرق وبفضل البحوث التي اجريت فيما بعد امكن تمييز عصرين رئيسيين هما العصر الحجري الحديث والعصر البرونزي وسمي العصر الثاني بالعصر المينوني نسبة الى الملك مينوس وقسم هذا العصر الى ثلاثة ادوار رئيسية هي الدور المينوني الاول والمينوني الثاني والمينوني الثالث وقسم كل دور من هذه الادوار الى ثلاثة ادوار فرعية متعاقبة(٤) فاصبحت هذه التقسيمات الزمنية مقبولة لدى طلاب الاثار ٠

العصر الحجري الحديث :

لقد تهيأت في كريت والجز الايجية وسواحل الاناضول مواقع خصبة فوق التلال يمكن ان يأوى اليها السكان بعيدا عن مستوى الفيضانات كما تهيأت لهم فرص صيد السمك كمورد ثاني من موارد الطعام ٠ وكانت سفوح المنحدرات في العصور القديمة تغطيها الاشجار التي تزودهم بالوقود والاخشاب لبناء السفن وكانت الرياح المنتظمة الهبوب في الصيف كافية لدفع تلك السفن للابحار من جزيرة الى أخـرى دون ان تبعد كثيرا عن الشاطيء ومن ثم نمت حركة الاتصال والتبادل بين المجتمعات ٠ وبالنظر لوجود قشرة صلبة فوق التربة كانت الزراعة تتطلب حرث الارض اكثر من مرة وكان محراث جنوب غرب اسيا غير كاف لمثل هذا العمل ولم تحل مشكلة حراثة الارض بشـــكل صحيح الا بعد اختراع المحراث الثقيل فيما بعد ٠ ولم يكن سهلا زراعة قطعة الارض الواحدة سنة بعد أخرى دون الالتجـــاء الى الدورة الزراعية الثنائية في حوض البحر المتوســط الاوربي وان كانت بعض الحالات تستلزم الدورة الثلاثية أي زراعة الارض في السنة الاولى بالحبوب وفي السنة الثانية بالخضار وفي السنة الثالثة تترك دون زراعة ولذلك تعرض الفلاح الاوربي الصغير في حوض البحر المتوسط الى الفقر وكان عليه

Scanned by CamScanner

ان يهيأ الارض للزراعة بحرثهـا جيدا بالفأس لكي يحطم قشرتها الخارجية ويصل الى التربة الهشة غير ان امطار الشتاء واعتدال درجات الحـرارة كانت تشجع على نمو الاشجار الدائمة الخضرة ذات الجذور العميقة والاوراق الصلبة التي تحميها من جفاف الصيف وكان المزارعون يستفيدون من تلك الاشجار · ونمت شجرة الزيتون التي دخلت في زمن مبكر من سواحل البحر المتوسط الشرقية او من شمال افريقية نموا حسنا في ظروف البحر المتوسط الاوربي كما دخلت اوربا في زمن مبكر شجرة التين التي ربما كانت شجرة اصلية في حوض البحر المتوسط الايجي او ما حوله · وكانت بيئة البحر الايجي صالحة لنمو الكروم التي تفضل في زراعتها سـفوح التلال المنحدرة الحسنة الصرف للمياه فاقام الناس لزراعتها المدرجات على سفوح المنحدرات وربما كانت الكـروم قد نشأت اول الامر في حوض البحـر المتوسـط · واسـتطاع المزارع في هـذه الاقاليم أن يحصـل كثيرا من خيرات ارضه التي يجنيها من الزيتون والتين والكروم والخضار التي تنمو في ظلها وفي العصور التاريخية اضاف اليها المشمش والخوخ واشجار الحمضيات ·

Scanned by CamScanner